مطويات الشريحة

# رمضان
# شهر الاقبال على القرآن

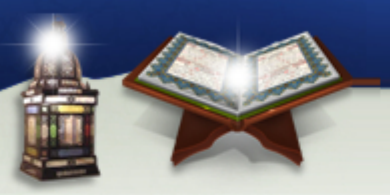

لفضيلة الشيخ :

عز الدين رمضاني



بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم ـ وفّقك الله ـ أنّ من فضائل هذا الشهر العظيمة، التي هي من نعم الله الجسيمة إنزاله لكتابه المجيد هدى للناس، وشفاء للمؤمنين، يهدي للتي هي أقوم، ويدعو إلى سبيل الرشاد في ليلة مباركة من شهر رمضان الخير، قال تعالى:(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) [ البقرة: ١٨٥].

فوصف شهر رمضان بأنّه أنزل فيه القرآن، وبنى ما بعده عليه بحرف الفاء التي تفيد السببية والتعليل ( فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، وهذا يفيد بطريق الإيماء إلى العلّة، وهي أنّ سبب اختيار رمضان ليكون شهر الصوم هو إنزال القرآن فيه، وذلك أكبر نعمة من الله على هذه الأمّة الطيّبة المباركة، ألا ترى أنّ الله حين عدّد نعمه على الإنسان بدأ بذكره فقال: (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [الرحمن: ١-٤].





«فقدّم من نعمة الدين ما هو في أعلى مراتبها، وأقصى مراقيها، وهو إنعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه؛ لأنه أعظم وحي الله رتبة، وأعلاها منزلة، وأحسنه في أبواب الدين أثرًا، وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها، والعيار عليها(١)، وأخّر خلق الإنسان عن ذكره، ثم أتبعه إياه ليعلم أنه إنما خلقه للدين، وليحيط علما بوحيه وكتبه، وقدم ما خلق الإنسان من أجله عليه، ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان، وهو المنطق الفصيح المعرب عمّا في الضمير»(٢).

وعليه فإذا علم أن أكرم يوم عند الله هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن، فيجب أن يُعتنى به حق الاعتناء، وأن يُخص بعمل زائد، ويشهد لهذا ما جاء في تحرّي ليلة القدر وتخصيصها بمزيد من العمل والاجتهاد في الطاعة حيث كان النبي صلى الله عليه وسلّم إذا دخل العشر شدّ مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله(٣)، والنعمة إذا حصلت للمسلمين استوجبت مزيدًا من العمل والاجتهاد، شكرا لله وقياماً بحق النعمة، كما أمر البارئ جلّ وعلا عباده أن يذكروه بالحمد والثناء لما





وفّقوا إليه من أداء العبادة والفراغ منها، قال تعالى بعد تمام نعمة شهر الصيام: (وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [البقرة: ١٨٥]، وقال بعد تمام مناسك الحجّ: (فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) [البقرة: ٢٠٠]، وقال تعالى بعد الفراغ من أداء الجمعة: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللّهِ وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [الجمعة: ١٠]، وقال بعد انقضاء المكتوبة: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ) [النساء: ١٠٣].

وقد تقرر أن مضاعفة أجر الأعمال تكون بأسباب منها شرف المكان، كالأمكنة التي بارك الله فيها من المسجد الحرام ومسجد النبي صلّى الله عليه وسلّم، ومنها شرف الزمان فإنّ الأعمال تضاعف في الأزمنة الفاضلة كعشر ذي الحجة ويوم عرفة وشهر رمضان وليلة القدر، ومنها شرف العامل عند الله وقربه منه وخلوص نيته وصفاء قلبه وكثرة تقواه، ومعلوم أنّ





الصائم يتهيّأ له في هذا الشهر جلّ هذه المذكورات، ويوفّق لكثير الأعمال والطاعات، فهو في شهر صفّد الله تعالى فيه الشياطين وضاعف فيه مواهب الإحسان، وفتح فيه أبواب الخير والغفران، وأعطى السبق فيه لتلاوة القرآن، شهر تؤدى فيه التراويح، المساجد فيه معمورة، ونعم الله فيه منشورة، فيه تعتق الرقاب من النار، وفيه يتزود المقيم في هذه الدار، عمرة في أيّامه تعدل حجّة في الأجر والثواب، وقيام ليلة من لياليه تفضل ألف شهر كما هو مرقوم في الكتاب، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرمها فقد حرم الخير كلّه، ولا يحرم خيرها إلاّ محروم» (٤).

ومن أعظم القربات وأجلّ الطاعات التي يتقرّب بها إلى الله في مثل هذا الشهر، تلاوة كتابه وتدبّر آياته قال خبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه : «تقرّب إلى الله ما استطعت، فإنّك لن تتقرّب إليه بشيء، أحبّ إليه من كلامه» (٥) فكيف يحرم مؤمن نفسه من التغذي بكلام الله ربّ العالمين،





احشر نفسك يا عبد الله الصائم مع القوم المقبلين على كتاب الله تلاوة وحفظاً، وسماعًا وإنصاتًا، وتعلّمًا وتعليما، وتذكّرًا وتدبرًا، ولا تكن هاجرًا له معرضًا عنه فيلحقك الخسران وتكتب مع القوم الذي قال فيهم المولى جلّ وعلا على لسان رسوله: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) [الفرقان: ٣٠].

---

١- العبارة عليها: أثقلها وزنا.
٢- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٦/٣/٤).
٣- متفق عليه البخاري (٢٢٤/٤) ومسلم رقم الحديث ١١٧٤.
٤- رواه ابن ماجة في سننه باب ما جاء في فضل شهر رمضان رقم ١٦٤٤ وحسن إسناده في صحيح الترغيب رقم ٩٨٦.
٥- شرح السنة للبغوي (٤٣٧/٤).
٦- حديث صحيح رواه البخاري في صحيحه في فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن.